المؤسسات التعليمية في دمشق في العصر المملوكي الأول من خلال كتاب "أعيان العصر وأعوان النصر" للصفدي (ت ٧٦٤هـ) (*)

باحث ماجستير
محمد خميس يوسف النقبى
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة

تحت إشراف
د/ عصام مصطفى عقلة
أستاذ مشارك قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الشارقة

الملخص

تعد المؤسسات التَّعليمية في دمشق في العصر المملوكي الأول من الأماكن التي ذكرها الصفدي حيث كانت مقصدًا لطلاب العلم والعلماء من شتى أنحاء العالم، ولذلك هدفت هذه الدِّراسة إلى البحث في المؤسسات التعليمية في دمشق في العصر المملوكي من خلال مصدر من المصادر المهمة التي عاصرت هذه المرحلة، وكان لها صلات علمية متشعبة، وهو كتاب أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي، وتحاول هذه الدراسة التطرق لكيفية معالجة الصفدي أهمية المؤسسات التعليمية عند ذكرها، وهل استطاع حصر تلك المؤسسات وتقديم معلومات كفاية عنها، إذ توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن كتاب الصفدي في التراجم موضوع الدراسة لم يبيِّن أو يدرس كل المؤسسات التعليمية ولم يكن تصنيفه واضحًا لها.

الكلمات المفتاحية: المساجد – دور الحديث – الكتاتيب – الخانقاوات – الربط – الزوايا – التعليم في دمشق – العصر المملوكي الأول.

(*)**مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليه ٢٠٢٤، العدد الخامس والستون.**

Abstract:

Educational institutions in Damascus in the first Mamluk era are among the places mentioned by Safadi, as they were a destination for students of science and scientists from all over the world, and therefore this study aimed to research educational institutions in Damascus in the Mamluk era through one of the important sources that lived at this stage, and it had complex scientific links, which is the book of notables of the era and the aides of victory for Safadi, and this study tries to address how Safadi addresses the importance of educational institutions when mentioned, and whether he was able to limit The study reached a set of results, most notably that Safadi's book on the translations under study did not show or study all the educational institutions and his classification was not clear about them.

Keywords: Mosques - Dur al-Hadith - Katateeb - Khanqawat - Binding - Zawiyas - Education in Damascus - First Mamluk Era.

مقدّمة:

ازدهرت الحركة العلميَّة والنَّشاط الثَّقافي في بلاد الشّام في العصر المملوكي الأول، وانتشر العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وعدَّت دمشق منارة استقطبت العلماء وطلاب العلم في شتى المجالات، وذلك بسبب مجموعة من العوامل والتي من أهمها إنشاء المدارس ودور العلم وجعلها مشرعة الأبواب، فحظي الواقع العلمي فيها برعاية واهتمام كبيرين، حتى جمعت عشرات المدارس ودور العلم. وعاش الصفدي معظم حياته في دمشق في عصر دولة المماليك البحرية التي حكمت بين عامي ٦٤٨ – ٧٨٤هـ.

في زمن كان كثير من الشخصيات التي ترجم لها تستطيع القيام بمهمَّة التَّعليم ونشر العلم وممارسة دوره في المجتمع ووجدت المدارس الدَّعم والتَّشجيع من قبل الحكَّام الذين اهتمُوا بالعلم والمعرفة وبناء المؤسسات التَّعليمية.

فلا يمكن تصور النَّهضة العلميَّة التي وصلت إليها بلاد الشَّام خلال العصر المملوكي الأول دون الإحاطة بأهم المدارس ودور العلم التي أُنشئت في تلك الفترة، وقد اختار الباحث كتاب أعيان العصر وأعوان النَّصر للصَّفدي لتقصّي أهم المدارس ودور العلم في دمشق خلال تلك المدَّة.

إشكالية الدَّراسة:

تتلخص إشكالية هذه الدراسة في السؤال الرئيسي المطروح: ما الطرائق التي تعامل بها الصفدي في ذكره للمؤسسات التعليمية في دمشق من خلال التراجم؟

ويتفرع عن السؤال الرئيسي أسئلة فرعية وهي:

- هل أعطى الصفدي أهمية لتلك المؤسسات أم كان ذكرها عرضيًّا وفي سياق حياة الأشخاص؟
- على أي أساس أبرز الصفدي الأهمية العلمية للمنشآت؟ وهل كان تصنيفه واضحًا أم لا؟

أهمية الدَّراسة:

تكمن أهميَّة هذه الدَّراسة بالوقوف على الواقع التَّعليمي في دمشق في ظل الحكم المملوكي لها والإشارة إلى كيفية بيان المؤسسات التعليمية في كتب التراجم استنادًا إلى كتاب الصفدي أعيان العصر وأعوان النصر، الذي يعد من أهم كتب التَّراجم التي تستحق الدِّراسة وإعادة النَّظر، حيث ضمّ هذا الكتاب بين دفَّتيه ما يزيد على ألفي ترجمة لأهم أعلام العصر، وذكره المئات من دور العلم التي ذخرت بحلقات التدريس والمحاضرات والمناظرات والتي درَّس فيها أهم علماء العصر وانتشر العلم من خلالها إلى جميع أنحاء العالم.

أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الدَّراسة إلى الإجابة عن الأسئلة المطروحة في الإشكالية ومعالجتها بطريقة منهجية من خلال دراسة كتاب الصفدي بأجزائه الستة.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي في دراسة المؤسسات التعليمية في دمشق الواردة في كتاب الصفدي أعيان العصر وأعوان النصر، وكذلك المنهج المقارن ولا سيما في المقارنة بين أهمية المؤسسات التعلمية المُختلفة، وصولًا إلى المنهج الاستدلالي واستخراج النتائج المرجوة من الدراسة، أمَّا أبرز المصادر المُستخدمة فمنها كتاب ابن الأثير الجوزي المتوفى عام ٦٢٠هـ بعنوان التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية في الموصل، والذي يفيدنا في دراسة المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة قبل عصر الدولة المملوكية الأولى، وكذلك كتاب ابن شداد المتوفى عام ٦٣٢هـ: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ومن المصادر المهمة كتاب ابن كثير، المتوفى عام ٧٧٤هـ بعنوان البداية والنهاية، ويعد ابن كثير من معاصري الصفدي، وغيرها من المصادر والمراجع التي ثبتت في القائمة في نهاية الدراسة.

الدراسات السابقة:

درس العديد من الباحثين في كتاب الصفدي أعيان العصر وأعوان النصر، ولكن لم نجد دراسة تبيِّن كيفية ذكر المؤسسات التعليمية في دمشق وبيان أهميتها العلمية، ومن الدراسات نذكر:

١- دراسة بعنوان الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، للدكتور محمد عبد المجيد لاشين، صادرة عن دار الأفق عام ٢٠٠٥، عالج فيها الباحث الموضوع في بابين؛ تطرّق الأوَّل إلى الصفدي وعصره، والثاني إلى مكانته العلمية والأدبية وآثاره من الشعر والنحو والنقد والنواحي اللغوية،

وهي دراسة أدبية بابها الأول في التاريخ، ولم يعرّج الباحث على كيفية معالجة الصفدي للمؤسسات التعليمية في دمشق.

٢- دراسة بعنوان المؤرخ الصفدي – سيرته ومؤلفاته، للدكتور تحسين حميد مجيد، وبشائر هادي رزج، منشورة في مجلة ديالى عام ٢٠١٥، في (١٥) صفحة، عالج الباحثان مسيرة حياة الصفدي وعددا من مؤلفاته، ولم يتطرقا إلى المؤسسات التعليمية في دمشق التي ذكرها الصفدي.

٣- دراسة بعنوان صلاح الدين الصفدي وجهوده الأدبية والنقدية، وهي أطروحة دكتوراه لعواطف رزق الله، في جامعة أم درمان، وهي دراسة أدبية لم تعالج المؤسسات التعليمية التي أورد ذكرها الصفدي في كتابه محور هذه الدراسة.

أولًا: الصفدي (سيرته وعصره – كتابه أعيان العصر وأعوان النصر):

١- سيرته وعصره:

هو أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي السيفي الفارى الصفدي المشهور في كنيته صلاح الدين، وهو من مواليد مدينة صفد التي تشرف على بحيرة طبريا، من أصول تركية[١]، ولد عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، بسبب ذكر الصفدي في كتابه أعيان العصر وأعوان النصر أنه سيدوِّن ويترجم لمن عاصرهم أو أدركهم أو لقيهم أو كانوا في زمانه، وذكر أن سنة ٦٩٦هـ هي مولده وتوفي في دمشق عام ٧٦٤هـ[٢].

نشأ الصفدي على العلم، وهو أحد أبناء أمراء المماليك الأثرياء في صفد، وتفرغ للدراسة حتى سن العشرين[٣] ونال علومه بالعربية الخالصة مثله مثل المماليك، فحفظ القرآن الكريم، وقرأ الحديث، وتعلم الفقه والكتابة، وكذلك الرسم والحساب والمنطق، وتميز في الخط والأدب والشعر والتأريخ، وسافر مع طلبة العلم إلى كبرى مدن السلطنة المملوكية[٤] ولم يتوجه الصفدي إلى تعلم فنون القتال مثل معظم المماليك[٥].

ارتقى الصفدي في المناصب الحكومية التي تتطلب المعرفة بالكتابة والعلوم وأصبح كاتبًا في ديوان الإنشاء في مدينة دمشق بعد أن عمل في صفد والقاهرة، وبقي طويلًا في دمشق[٦]، فقد عاش الصفدي في مدَّة حكم المماليك البحرية وهي الدولة الأولى للمماليك، وكان واحدًا من الأمراء ومن كبار الموظفين في الدولة في دمشق، وكان يطلع على خبايا الحكم وهو شاهد عيان على ذلك العصر ومؤرخ وأديب ناقد، وكانت مدَّة وجوده في الدولة مدَّة اضطرابات سياسية كبيرة في مصر وبلاد الشام، وفي زمنه كان طلاب العلم والفقهاء من الطبقة المتوسطة في المجتمع إلى جانب التجار الصغار وأرباب الصناعات وأهل الحرف[٧]، ولكن الصفدي كان من الأثرياء ونال شهرة واسعة في العلم والأدب والتاريخ وشهد به كبار رجالات عصره المعاصرين له من النواحي العلمية والأخلاقية والفنية[٨] التي أهلته أن يصبح كاتبًا مرموقًا في مجالس ودواوين الدولة[٩].

أمَّا في الجانب الثقافي الذي عاش فيه الصفدي فقد سعى المماليك وحرصوا على رقي العلوم، وكانوا ينشؤون المدارس والجوامع المتضمنة للمدارس وخزن الكتب، وكتاب للأطفال، أو دار لتحفيظ القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، ولرفد ذلك أوقفوا قرى كاملة لصالح تلك المراكز الثقافية، فضلًا عن ذلك فقد كان هناك كثير من مراكز الندوات العلمية، والمجالس والملتقيات الأدبية في البيوت والبساتين، وكان يحصل فيها امتحانات ويمنح الذين تجاوزوا الاختبارات شهادات كفاءة، وكل ذلك ما عدا الطبقة الحاكمة، إذ كان السلاطين يعقدون مجالس العلم والأدب مرة أو مرتين في الأسبوع في بلاطهم، ويناقشون كبرى المسائل الدينية والفقهية والعلمية، فكان معظم أمراء المماليك وأبناؤهم يشتغلون في العلم، ومن أبرز ما كان يحصل في عصر الصفدي أن افتتاح أية مدرسة يجري بحضور السلطان أو نائبه وباحتفال كبير، ويمنح السلطان هبات للقائمين على البناء ويعيِّن المدرسين والموظفين فيها،

ويمنحها الأوقاف اللازمة للاستمرار، ومنها مَنْحُ الأساتذة والطلاب والموظفين رواتب شهرية مرتفعة[١٠].

يتبيَّن لنا أن عصر وحياة الصفدي كانت حياة ثقافية في كل أوجهها، لذلك ركز الصفدي في مؤلفه موضوع هذه الدراسة على المؤسسات التعليمية في ذكره للمدرسين والخطباء والقضاة والقائمين عليها، وإن ابتعاده عن الفنون العسكرية أدى إلى نتائج علمية إيجابية في حياته التي سخرها للعلم، ولا سيما وسط دولة نشأت واستمرت في الحروب والاضطرابات، ولكن حكامها كانوا يولون العلم أهمية استغلها الصفدي أفضل استغلال.

٢- كتابه أعيان العصر وأعوان النصر:

إن مؤلفات الصفدي كثيرة فقد بلغت (٥٨) مؤلَّفًا في شتى الفنون[١١]، مما جعله مؤلفًا موسوعيًّا ذا ثقافة واسعة حتى إنه برع في الرسم والخط والموسيقى وأبدع فيهم [١٢].

كان الصفدي مؤرخًا لعصره وأبرز مؤلفاته في التاريخ هي أمراء دمشق في الإسلام، وتاريخ صلاح الدين الصفدي، وتحفة ذوي الألباب، وبالتراجم ألَّف أعيان العصر وأعوان النصر، وكذلك الشعور بالعور، ونكت الهميان في نكت العميان، والوافي بالوفيات[١٣]، وما يعنينا هو كتابه أعيان العصر الذي كان في التراجم للرجال عامةً وفي عصر واحد، وأراد فيه السبق في التأليف لرجالات عصره ومآثرهم[١٤] وكذلك للنساء المعاصرات[١٥] وتميز الكتاب الذي جاء في ستة أجزاء بتطرقه للشخصيات الفاعلة في المجتمع والدولة من شعراء وأدباء وعلماء وسلاطين وأمراء من المستويات كافة، وكذلك قادة الجند، وخدام دور العلم والمساجد، والكتاب والقضاة، وفيه ألفَا ترجمة، رتبها من الألف إلى الياء، ومن الناحية العلمية فقد ركَّز الصفدي في تراجمه على شيوخ وطلاب الشخصيات التي ترجم لها، وكذلك مؤلفاتهم إن وجدت[١٦].

نجد أن الصفدي حاول في كتابه جمع كثير من التراجم لمن يستحقها، ولا شك أنه وضمن مدينة دمشق لم يستطع أن يترجم لكل الرجال الفاعلين علميًّا فيها، فضلًا عن ترجمته لقليل من النساء، وإهماله الترجمات لغير المسلمين ولا سيما المسيحيين الذين شاركوا في الحياة الثقافية في دمشق وكان لهم مؤسساتهم التعليمية أيضًا، فقد ركز الصفدي في كتابه على مؤسسات تعليم المسلمين فحسب وأبرزها التعليم الديني في المساجد.

ثانيًا- التعليم في المساجد:

اتخذ التعليم في الإسلام من المسجد مركزًا له منذ إنشائه، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يجلس في المسجد ويتحلَّق المسلمون من حوله متلقين العلم عنه، ونَهَجَ الصحابة والتابعون نهج الرسول عليه الصلاة والسلام، فعقدوا في المساجد مجالس العلم، في كل الأمصار التي قاموا بفتحها، وقد عرفت دمشق في العصر المملوكي الأول هذا النوع من المراكز العلمية، إذ كان المسجد له دور كبير في حياة الناس، فهو ملتقى لأهل العلم، ومرجع للفتوى، ومقصد للطلاب، ومصدر لكل العلوم الشرعية والكونية، وشكلت المساجد مراكز لتعليم الأطفال العلوم الشرعية بالإضافة إلى العلوم كافَّة، وأخذت حركة بنيان المساجد والجوامع وعمارتها تزدهر يومًا بعد يوم، بحيث كان منها في دمشق في العصر المملوكي ما يقارب (٣٩٧) مسجدًا فضلًا عن سائر قراها.[١٧]

توقَّف الصفدي في تراجمه عند بعض المساجد، لبيان دورها في تطوير العملية التربوية والدينية في دمشق في فترة حياته بشكل خاص خلال عرضه للتراجم، ذاكرًا في كتابه ثلة من العلماء الذين أتوا على بعض المساجد ودرَّسوا فيها، وكان لهم نصيب من العناية بحركة التعليم والمعرفة في تلك الفترة الذهبية.

ومن أبرز المساجد التي كان لها دورٌ تدريسي واضح وذكرها الصفدي:

١- المسجد الأموي [١٨]:

يعد الجامع الأموي من أهم الجوامع التي ذكرها الصفدي في (أعيان العصر وأعوان النصر) إذ ذكره لمرات كثيرة لا يمكن حصرها، وذلك عندما يقوم بترجمة لعلم من الأعلام، فيقيِّد هذه الترجمة بذكر الجامع الأموي، ليبين لنا ما إذا كان العَلَم قد درَّس في هذا الجامع، أو قدم عليه، أو كان ممن يقيم فيه. فقد ذكر في ترجمة أبى إسحاق الرقّي الحنبلي [١٩] أنَّه كان له منزل تحت المئذنة الشرقية بالجامع الأموي بدمشق، كما أشار الصفدي إلى أنّه كان يجالس الشيوخ، ويتذاكر معهم علوم الفقه في المسجد [٢٠].

وبذلك بيَّن لنا الصفدي أن الدور التعليمي للمسجد الأموي كان مُقتصرًا على الأفراد أكثر منه على حلقات التعليم، ومن المحتمل أن ذلك يعود إلى ظهور المدارس وانتشارها وغيرها من المؤسسات الأخرى، وكثرة الطلبة المنتسبين لتلك المؤسسات، وكثرة أوقافها ونفقاتها على الطلبة، ولكن في الواقع لم يؤثر على الدور التعليمي الذي كان يمارسه المسجد الأموي بدمشق في الحركة العلمية الدمشقية والشامية خصوصًا، والإسلامية بشكل عام، فقد استمر المسجد الأموي في تدريس العلوم القرآنية والسنَّة النبوية، والعلوم الفقهية لمختلف المذاهب، إضافة لتدريس الحساب، وهو علم مهم للفقهاء المتخصصين في قضايا الفرائض وتقسيم المواريث[٢١].

تصدى الصفدي لرواية الحديث الشريف في الأموي أيضًا، وقد كان الجامع يتميز بكثير من المقصورات والزوايا لكافة المذاهب الفقهية، فهناك الحلقة القوصية المختصة بتدريس الفقه، ودُرس بها قراءات القرآن [٢٢]، كما كان به حلقة لتعليم الحساب، وحلقة لتدريس الفقه الحنفي في الحائط الشمالي من المسجد، وحلقة لتدريس الفقه الشافعي [٢٣]، خلف محراب الحنابلة [٢٤]، إذ

كانت تدرس فيه جميع العلوم الدينية (الفقه، والقرآن، والحديث، والعقيدة والتوحيد) بالإضافة إلى علوم اللغة العربية [٢٥].

نجد مما سبق، أن الصفدي بيَّن دور المسجد الأموي في العملية التعليمية من دراسته للتراجم، فجاء الحديث عنه متفرقًا ويصعب إحصاؤه في بحث كهذا، ويتبيّن من ذلك أن معظم المتعلمين في دمشق ممن برزوا في الحياة الثقافية والعلمية كان للمسجد الأموي أثر بهم، وهذا الأمر لا نلحظه في الكتب التي تحدثت بإسهاب عن المسجد على أنه مكان ديني – علمي، وهي مزية تفرَّد بها الصفدي في عصره، وأظهر المسجد كمؤسسة تعليمية تخرج فيه كثير من الرجال في حياة الصفدي.

٢ – مسجد الأقرم[٢٦]:

ذكره الصفدي بأنه من الجوامع المهمة التي بنيت في دمشق، ويقع شرقي تربة العادل كتبغا في قاسيون، ودُرِّست فيه العلوم الشرعية واللغوية، وكان يُعقد فيه كتاتيب لتعليم الأطفال، إذ ذكر الصفدي الشخصيات التي خطبت فيه ودرست فيه في ذلك الزمن وأفرد لها ترجمات [٢٧].

ويتضح من الجدول التالي أبرز المساجد التي ذكرها الصفدي وكان لها دور في التعليم الديني:

أبرز المساجد التي ذكرها الصفدي وكان لها دور في التعليم الديني			
اسم المسجد	**المكان**	**تاريخ البناء**	**العلوم التي درسها**
تنكز[٢٨]	دمشق	٧١٧هـ/ ١٣١٧م	كان يُعقد في الجامع الحلقات القرآنية، وهو من المساجد التي دلَّت على الثقافة الدينية في عهد الصفدي.[٢٩]

الحنابلة	دمشق	العصر الأموي	مثَّل هذا المسجد نهضة علمية شاملة، وكان يعد منارة للعلم وعلوم الدين، [٣٠] وعُقدت فيه عدد من الدروس، وله خزانة كتب كبيرة تحتوي على أمهات الكتب [٣١]
يلبغا[٣٢]	دمشق	٧٤٦هـ	كان شبيهًا بوزارة من وزارات الدولة المملوكية في تلك الفترة،[٣٣] خطب فيه كبار رجال الدولة [٣٤]
النيرب	ضواحي دمشق (الربوة) [٣٥]	القرن السابع أو الثامن الهجري[٣٦]	دُرِّس بهذا الجامع العلوم الشرعية، وكان له نشاط معرفي جيد[٣٧].

نستنتج من دراستنا للمساجد أنه بالإمكان استخلاص دورها التعليمي من خلال دور الأشخاص فيها، ولكن ذلك لا يُعدُّ كافيًا، فعلى سبيل المثال نجد أن جامع يلبغا كانت تجرى فيه الخطب، وفقًا للصفدي الذي ترجم للأمراء والمسؤولين فيما يتعلق بهذا الجامع، في حين أنه مثل أي جامع آخر يقصده عليّة القوم فقد كان يجرى به اكتساب العلوم الدينية بانتظام، سواء دروس خاصة أم عامة، وفي جانب آخر، فإن ذكر الصفدي للمساجد على أن فيها حلقات لحفظ القرآن ينتقص من دورها في تعليم القراءة والكتابة في حال كانت مصدرًا وحيدًا في تلك المدَّة، إذ من غير الممكن تعليم القرآن الكريم من دون تعليم القراءة والكتابة والعودة إلى الحديث الشريف والأصول الفقهية لكل مذهب على حِدة.

ثالثًا- دور الحديث الشريف والبيمارستانات:

١- دور الحديث الشريف:

يُعد الحديث من أهم مصادر التشريع الإسلامي، وقد بدأ تدوين

المسلمين للسنة النبوية الشريفة مع بدايات القرن الثاني الهجري، حيث ظهرت طائفة كبرى من أئمة الأحاديث، وانتشرت المصنفات والكتب والمؤلفات التي هذّبت الأحاديث الشريفة وصنَّفتها ورتبتها، وقد أسهم أهل الشام في تطوير علم الحديث النبوي، حيث ظهرت كتب الطبقات التي تُعنى بدراسة أحوال الرجال الناقلين للحديث، وأصبح للحديث أنواع عدَّة من حيث قوَّة روايته واتصال سنده، وقام العلماء بتفنيد كثير من الأحاديث الضعيفة التي لم تصح، واستمر ذلك حتَّى العصر المملوكي الأول زمن هذه الدراسة، إذ كان علم الحديث قد تبلور وظهرت له مدارسه، واهتم المسلمون برواية الحديث الشريف، لفهم السنة والكتاب، وأوَّل من بنى دارًا للحديث في الشام هو نور الدين محمود بن زنكي [٣٨]، وبعد ذلك انتشرت دور الحديث عبر العصور والأزمنة، كانت تعتني بالحديث الشريف وتدريسه وفنونه، وطبقات الرجال وعلم الجرح والتعديل، ثمَّ تطوَّرت لتشمل العلوم كافَّة ، وكثرت دور الحديث بعد ذلك، ومن دور الحديث التي وجدت في دمشق وجاء على ذكرها الصفدي في كتابه وبيَّن نشاطها العلمي، هي ما يلي:

١ – ١ – دار الحديث القوصية[٣٩]:

تقع في رحبة الخاطب داخل الباب الشرقي، في مكان جادة الإصلاح اليوم، شرقي الشاغور [٤٠]، وسنة بنائها تقديرًا هي (٦٥٣هـ)، أي سنة وفاة الواقف، لأن الدار لا يمكن أن تحوَّل إلى مدرسة وفيها الواقف وأهله، فكونها مدرسة لا يتم إلّا بعد وفاته، [٤١] ولا أثر لهذه المدرسة في يومنا هذا [٤٢]، وذكرها الصفدي في إحدى ترجماته، ولم يتوسع بالحديث عنها [٤٣].

٢ – ١ – دار الحديث النورية: [٤٤]

كانت دار الحديث النورية جامعة ولم يشترط أن يُحصر تدريسها في مذهب معين، فقد استقبلت علماء من جميع المذاهب المعتبرة، وتقع هذه الدار

في مدينة دمشق بسوق العصرونية، بين دار الحديث الأشرفية والمدرسة العصرونية، [٤٥] ذكرها الصفدي، مرتين في معرض حديثه عن تراجم الشخصيات ولم يبيِّن موقعها أو أهميتها بالنسبة للمذاهب الإسلامية [٤٦].

٢- ١- دار الحديث النبهية[٤٧]: وذكرها الصفدي أنه دُرِّسَ فيها علوم الدين. [٤٨]

٤ - ١- دار الحديث الظاهرية [٤٩]: ومن تراجم الشخصيات يتضح أن المدرسة كان يروى فيها الحديث وتدرس فنونه وعلومه. [٥٠]

٥- ١- دار الحديث الأشرفية [٥١]: وهي كما المدارس السابقة لتدريس الحديث بالإضافة إلى علوم الدين[٥٢]

٦- ١- دار الحديث النفيسية[٥٣]: كذلك لرواية الحديث وتدريسه، وفقًا للصفدي[٥٤].

نجد مما سبق أن دور الحديث لم يخصص لها في تراجم الأشخاص لدى الصفدية سوى ما يخدم ترجمتهم، أي لم يذكر الصفدي موقعها أو تاريخ بنائها على الرغم من قلَّة عددها وأهميتها العلمية، ولا بد أن ذلك يخرجه عن هدف كتابه، ولكنه يبقى مصدرًا مهمًّا لتلك الدور وأنها كانت موجودة وفاعلة في عصره.

٢-البيمارستانات:

شغلت البيمارستانات (المستشفيات) حيزًا صغيرًا من اهتمام العلماء المسلمين عمومًا في تراجمهم، ولهذا لم ترد في كتاب أعيان العصر سوى إشارتين، حيث ذكر البيمارستان الصغير بدمشق الذي كان يدرِّس العلوم الطبية[٥٥]، والبيمارستان النصري بدمشق [٥٦].

رابعًا- الكتاتيب والمدارس:

١- الكتاتيب:

إنَّ أوَّل مكان دُرّس فيه بعيدًا عن المسجد هو الكتَّاب، ثمَّ تطوَّر الكتاب وساهم بإنشاء المدارس المتعددة، حيث كانت الكتاتيب تعدّ من المراحل الأولية للتعليم في بلاد الشام، فقد كان بعض المعلمين يتخذون من بيوتهم كتّابًا، وبعضهم يُعلّمون طلبتهم في سقيفة حول المسجد، ولقد اشتُرط فيمن يتولّى التعليم في الكتّاب أن يكون صحيح العقيدة، ودرّس في الكتّاب فضلًا عن القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، علوم اللغة والأدب والحساب(٥٧)، والكتاتيب كانت تنقسم إلى قسمين: كتاتيب خاصة، وكتاتيب عامّة: فالخاصة: فهي من إنشاء أولئك الذين وجدوا في أنفسهم القدرة على جعل التعليم مهنة يمتهنونها، لكي تكون مصدر رزقهم وقوتهم، وكان تعليم الأولاد في هذا النوع من الكتاتيب مأجورًا، ويدفع الناس لأصحابها أموالًا مقابل تعليم أطفالهم، وأمَّا العامة: فإنشاؤها مرهون بأصحاب النفوذ والثروة، من سلاطين وأمراء ووجهاء أو تجار وعلماء، والسبب في إنشائها هو ابتغاء مرضاة الله وثوابه، والتعليم فيها يكون بالمجَّان للفقراء والأيتام المعدمين، ما لم يبلغوا حد البلوغ.٥٨

ونستطيع أن نشبه معلم الكتاب في العصر المملوكي الأول بمعلم المدرسة الابتدائية في وقتنا الحالي، من حيث إنّه كان يعلم الأطفال العلوم الأساسية، ويُشرف على تربيتهم وتوجيههم، وتأهيلهم إلى المرحلة الأعلى.

وعند تصفُّح كتاب الصفدي نجد أنَّه لم يذكر سوى ستة مكاتب (كتاتيب) لتعليم الصبيان وهي: مكتب مُتخصص في تعليم الحساب (٥٩)، ومكتبان لتعليم الأيتام (٦٠)، ومكتبان لتعليم الصبيان فقط؛ أحدهما خارج سور المدينة والآخر داخله (٦١)، ومكتب خاص بتعليم أبناء الأمراء وكبار الموظفين فن الكتابة٦٢.

نلحظ مما سبق ذكر الصفدي للكتاتيب باهتمام وتفصيل كونها تشكل تنوعًا مطلوبًا في المجتمع ويعبِّر عن الفروقات داخله، فمنها للحساب، وهو متخصص، ومنها للأيتام، ومكتب لأبناء الطبقة الثرية من المجتمع، إذ استطاع الصفدي الحديث عن المكاتب أكثر من دور الحديث على سبيل المثال، وذلك لأنها المرحلة الأولى التي يتعلَّم فيها الشخصيات التي ترجم لها.

٢ – المدارس:

يرجع سبب قلة ذكر أسماء الكتاتيب عند الصفدي كما لحظنا إلى بروز دور المدارس وأهميتها في فترة حياة الصفدي، ويُمكننا القول إنَّ دمشق حظيت بنصيب الأسد من هذه المدارس متعددة المذاهب، وسارت المدارس بعصر الصفدي في خطى سريعة نحو التقدَّم، وتعددت اهتماماتها وازدادت أعدادها وذلك لعدة أسباب، ومنها ما يلي:

- الرعاية التي قدمها سلاطين المماليك لتلك المدارس.
- مساهمة السلاطين والأمراء في إنشائها.
- ذكاء وإقدام سكان بلاد الشام وإقبالهم على العلم.
- توفير الدولة الأمور المعاشية للعلماء [٦٣].

عندما نتكلم عن المدارس نقصد تلك المدارس التي كان يُدرَّس فيها الفقه، فكانت كل مدرسة مختصة بمذهب معيّن، ويُدرِّس فيها أهم أعلام العصر من الفقهاء والعارفين، حتّى إنَّه كان يُستدعى أحد الأعلام من مكان بعيد ليُدرِّس فيها، وقد ذكر الصفدي ذلك في كتابه، وأسهب في تفصيل كل من درَّس في كل مدرسة، فقد أحصى من المدارس الموجودة في دمشق (٣٨) مدرسة عنيت جميعها بتدريس الفقه الإسلامي كل منها وفق المذهب الخاص بها؛ ومنها (٢٧) مدرسة للمذهب الشافعي، وثماني مدارس للمذهب الحنفي، وثلاث مدارس للمذهب الحنبلي وجميعها في دمشق، ونذكر أبرزها وأهمها ما يلي:

١- المدرسة البادرائية الشافعية:

من أهم تلك المدارس المذكورة هي المدرسة البادرائية الشافعية، التي أنشأها الشيخ نجم الدين أبو محمد عبد الله البادرائي الفرضي[٦٤]، الذي بنى مدرسته في دمشق سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وكان أوَّل من درَّس فيها [٦٥]، وتقع المدرسة البادرائية داخل باب الفراديس والسلامة شرقي المدرسة الناصرية الجوانية[٦٦]، وقد أسهم الملك الناصر الأيوبي[٦٧] في بناء هذه المدرسة، وأطلق للبادرائي خمسمائة حمل خشب من غيضة جسرين، وحضر حفل افتتاحها، وبيَّن البادرائي شروط الوقف، ومنها ألَّا تدخل إليها امرأة ولا يَدرس فيها متزوج، ولا يجمع بينها وبين غيرها من المدارس، لذلك (لم يتخرج منها عالمٌ فالح) على حد قول أحد المؤرخين، لأن الرجل الدارس فيها عندما يتكامل علمه سوف يجد في نفسه الرغبة بالزواج، وهذا يؤدي إلى تركه للمدرسة [٦٨].

وتحتوي هذه المدرسة على أربع عشرة غرفةً أرضية، وست غرف علوية، وأصبحت المدرسة في أربعينيات القرن العشرين مقرًا لطلاب العلم والفقراء، وهي الآن مركز لقسم من طلاب معهد الفتح الإسلامي، والمدرسة لا تزال ثابتة الأركان، ويُعرف الحي باسمها وباسم حمام سامي أيضًا. [٦٩]

٢- المدرسة الأسدية:

أنشأها أسد الدين شيركوه [٧٠]، وذكرها الصفدي في أكثر من موضع[٧١] في معرض حديثه عن المدرسين الذين درسوا الفقه فيها، وكذلك الذين أقاموا فيها، [٧٢] وفي تكرار ذكرها في التراجم، فإننا نستنتج أهميتها العلمية في التدريس ولا سيما الفقه في ذلك الزمن.

٣- المدرسة الأمينية:

تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأموي بدمشق، وكان لها أهميّة سياسية بالإضافة إلى الأهمية الدينية والعلمية، حيث كانت مكانًا لتعليم أولاد

الرؤساء، وكان ممن تولَّى هذه المهمَّة كبار علماء اللغة العربية البارعين فيها من أهل دمشق [٧٣]، وكذلك درَّس فيها كبار القضاة القاطنين في مدينة دمشق، ومنهم ثلاثة قضاة معاصرين للصفدي [٧٤].

٤- المدرسة القيمرية[٧٥]:

ورد ذكر المدرسة في كتاب الصفدي أعيان العصر وأعوان النصر بذكره للمدرسين فيها من أهم الاعلام الذين درّسوا بهذه المدرسة وذكرهم الصفدي ومنهم الإمام العلَّامة قاضي القضاة في دمشق أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي بعد أن طُلب لقضاء دمشق وخطابتها، وأشرف على التدريس بهذه المدرسة بأمانة واسعة ونشر من خلالها كل ما يملك من علوم تحصَّل عليها من خلال أسفاره. [٧٦]

نجد مما سبق أن ورود المدارس لدى الصفدي في كتابه محور هذه الدراسة كان مهمًّا وواسعًا، وذلك لأنه التقى برجال العلم في عصره الذي تميَّز بأن رجال العلم كانوا مدرسين في المدارس التي انتشرت على نطاق واسع في مدينة دمشق، ولكن نلحظ عدم توسع الصفدي في الحديث عن المدارس على حساب الشخصيات التي يترجم لها، مما أبقى أوصافها وأعداد طلابها وتفاصيل ما تدرسه غير واضح في ترجماته.

خامسًا- الخانقاوات والزوايا والرُبط:

تعدُّ من ضمن المدارس (الطرائق) الصوفية، ويصعب التفريق بين هذه الأنواع الثلاثة، ففي بعض الأحيان نجد بعض المؤرخين يذكرونها مترادفة، وفي أحيان أُخرى ترد بشكل مختلف، ولكل منها معنى، وبعض المؤرخين أطلق على البناء أكثر من اسم، فثمّة تقارب في المعنى والوظيفة بين الخوانق والزوايا، لذا لا بد من معرفة معنى كل واحد من تلك الأسماء. فالخوانق: مفردها خانقاة أو خانكاة، وهي كلمة فارسية تعني دار التعبد، وكانت مخصصة لإيواء الصوفية والمنقطعين للدراسة ولا سيما الدينية منها، حتّى لا ينحرف

نزلاؤها عن جادة الشرع، وكانت الخوانق في مدينة دمشق ترتبط بسلطة شيخ شيوخ العارفين، الذي كان يتخذ من الخانقات مقرًا له. (٧٧)

والزوايا كلمة تُطلق على كل مسجد صغير فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح والعبادة، يقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه، ولا يوجد فيها منبر أو مئذنة، وقد يوجد فيها محراب. (٧٨)

أمّا الرُبط فمفردها كلمة رباط، أي المواظبة على الأمر، أو الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وقد انتشرت الربط في العالم الإسلامي، وتعددت وظائف الربط، وأصبح الرباط بيت الصوفية ومنزلهم(٧٩)، وفي مصطلح أهل دمشق يُعتبر الرباط كالخانقات، دار لنزول الصوفية، يقيمون فيها عاكفين على العبادة، فيجوز للفقهاء الإقامة في الربط وتناول معلومها، ولا يجوز للمتصوف القعود في المدارس، وأخذ جرايتها (٨٠)، وعلى ذلك يمكن أن نستنتج أن الرباط إذا وجد في مناطق الثغور فهو للجهاد والعبادة، وإن وجد في العواصم فهو للعبادة والعزلة، فبذلك لا يختلف عن الخانقاة إلا بالاسم.

وعند الاطّلاع على كتاب الصفدي نرى أنّه ذكر كثير من أسماء الخانقاوات والزوايا والربط، وبيّن ما يجري فيها من نشاط علمي ومن يتولى شؤونها، ولذا بيّنا نشاط حركة الخانقاوات والزوايا والربط خلال مدَّة حياة الصفدي التي ذكرها في كتابه أعيان العصر وأعوان النصر وأبرزها:

١ – الزاوية السيوفية: (٨١)

ذكرها الصفدي، وكان نشاطها محصورًا فقط في بعض الدروس من أهل العلم والدين(٨٢)، ولا أثر لهذه الزاوية اليوم.

٢ – الزاوية القوامية الباليسية(٨٣):

تقع هذه الزاوية غربي جبل قاسيون على حافة نهر زيد، غربي تربة الملك العادل كتبغا (٨٤)، وقد كانت الزاوية آيلة للضياع، فجددها بعض

الصالحين وبنى فيها أيوانًا وشباكًا، وبقي منها اليوم القبور والقبَّة [٨٥]، وكان يُقام بداخلها بعض الدروس الفقهية المختلفة وغير الطويلة. [٨٦]

٣- **الرباط الناصري:** [٨٧] درس فيه الحديث وعلومه. [٨٨]

٤- **الخانقاة السميساطية:**[٨٩] كان يجري فيها تعليم الصوفية ويقوم بعض شيوخها بممارسة القضاء وفق الطريقة الصوفية. [٩٠]

٥- **الخانقاة الشهابية:**[٩١] وهي للصوفية، وكان شيخها عالمًا بالنجوم والأرصاد والفلسفة. [٩٢]

٦- **خانقاة الطاحون:** بنيت في دمشق في القرن السادس للهجرة [٩٣]، وهي خانقاه خاصة بالصوفية. [٩٤]

٧- **الخانقاة المجاهدية:**[٩٥] وورد ذكرها مرة واحدة لدى الصفدي.[٩٦]

٨- **الخانقاه الأسدية:** تقع بدمشق وبنيت عام ٦٥٠هـ داخل باب الجابية[٩٧] وشيَّدها الصوفي إبراهيم بن بركات البعلبكي وكان يحدّث فيها. [٩٨]

٩- **الخانقاة الخاتونية:** بنيت عام ٥٧٥هـ نسبة إلى خاتون بنت معين الدين أنر زوجة نور الدين زنكي[٩٩]، واهتمت بتعليم علوم الدين وفق الطريقة الصوفية. [١٠٠]

نجد من خلال دراسة الزوايا والربط والخانقاوات في كتاب الصفدي أنه قدَّم نبذة لا بأس فيها عنها، وأدرجا ضمن أبرز وأهم المؤسسات التعليمية، وأعطى للصوفيين وأماكنهم قيمة علميَّة توازي قيمة الكتاتيب إن لم تتخطاها، ولا سيما عند ذكره بتخصص بعضها بعلم الفلك والفلسفة، وأخرى بالقضاء، وثالثة بالحديث الشريف وعلومه، وكذلك بالعلم الصوفي الذي يعد أبرز أصناف فلسفة ذلك العصر.

الخاتمة وخلاصة الدراسة:

إنَّ البحث في الحياة العلميَّة والفكريَّة لتاريخ الأمة الإسلاميَّة يعدَّ من الدعامات التي تبنى عليها الحضارات، وممّا لاشكّ فيه أنّ المؤسسات التعليميَّة هي إحدى أهم الركائز التي جعلت من العلم في دمشق مقصدًا لطالبيه وللعلماء ومركز إشعاع لجميع البقاع الإسلامية والحضرية حيث لعبت المؤسسات

التعليمية في دمشق خلال العصر المملوكي الأول منذ بواكير نشأتها وامتدادها دورًا كبيرًا في تدريس العلوم والآداب فكانت مشرّعة الأبواب لمن يرتادها وموطنًا لطلاب العلم والعلماء على اختلاف تخصصاتهم، حتى وجدنا هذه الفترة بأنها مرحلة ازدهار للعلم، أوضحها الصفدي في كتابه الذي لم يكن مصدرًا وحيدًا له، ولكنه كان من أبرز التراجم التي استطعنا منه استخراج بحث متكامل في سياق ذكره غير المباشر في كتابه.

الخلاصة:

نجد من دراستنا للمؤسسات التعليمية في دمشق التي أوردها الصفدي في كتابه أعيان العصر وأعوان النصر أنه مرَّ على ذكر مؤسسات التعليم الإسلامي في كل أوجهها، بدءًا بالمساجد والكتاتيب والمدارس ودور الحديث ومدارس الصوفية وانتهاءً بالبيمارستانات، ولكنه أهمل مؤسسات التعليم المسيحي ورجالاتها في ترجماته، أي لم يكن مُلمًا بكل أنواع المؤسسات التي كانت موجودة في دمشق في عصره، وكان ذا نزعة دينية إسلامية، فضلًا عن ذلك لم يذكر المؤسسات التعليمية الإسلامية التي اهتمت بتعليم النساء، ولم يفرد لها من اهتمامه كثيرًا، فغابت في طيات النسيان في ترجماته، ويعود ذلك إلى أنه قلما ترجم للنساء، أي أن كتاب الصفدي المدروس لا يُعدُّ مصدرًا كافيًا لإحصاء ودراسة المؤسسات التعليمية في دمشق في زمانه.

ومن ناحية أخرى، لم يستطع الصفدي أن يُعْطي المؤسسات التعليمية حقها في الوصف ومدى استيعابها وأعداد طلبة العلم فيها، وأشار باختصار إلى بعض وظائف تلك المؤسسات المتخصصة، والسبب في ذلك يعود إلى تقيُّده بالترجمة للشخصيات، وعدم حديثه عن كل الشخصيات التي درست في المدارس، فقد كان يترجم لمن التقاهم، أو للمشاهير الذين ذاع سيطهم داخل دمشق وخارجها.

لم يترجم الصفدي فقط لرجالات دمشق، إذ إنه عاش في صفد مسقط رأسه، وأمضى مدَّة يسيرة في القاهرة وحلب وغيرها من مناطق بلاد الشام قبل أن يستقر في دمشق ويكون لرجالاتها ومؤسساتها العدد الأكبر في الترجمة،

فضلًا عن ذلك يمكننا احتساب زوار دمشق من الرجال العلماء وذوي والمكانة، وبذلك يمكننا القول إن عدم تمكّن الصفدي من الإشارة إلى جميع المؤسسات التعليمية بدمشق التي تقدرها المصادر بالمئات يعود لعدم ترجمته لكل من كان يدرس فيها.

وبناءً على ما سبق، فإننا نستطيع الاستنتاج أن قلَّة من المؤسسات التعليمية نالت اهتمام الصفدي، إمّا لأنه كان بها مدرسون كبار أو لأن له علاقة شخصية بها، أو لتفردها عن غيرها كأماكن الصوفيين ومدارسهم، وبذلك لا يمكن عدُّ تصنيف الصفدي للمؤسسات التعليمية تصنيفًا واضحًا أو دقيقًا، فعلى سبيل المثال لا يمكن عدُّ الخانقاوات التي يحدِّث فيها الصوفيون بالمؤسسات التعليمية، أو عدُّ من فيها أنهم من العلماء والمدرسين، ومارسوا التدريس فيها، ولا سيما في ظل وجود المدارس ودور الحديث والكتاتيب المتخصصة، في حين يمكن القول ‘ن الإشارة إلى البيمارستانين اللذين ذكرهما الصفدي على أنهما من المؤسسات التعليمية له في ذلك، فضلًا في الإشارة إلى تعليم الطب وتدريسه عمليًّا فيهما.

الهوامش

١- محمد عبد المجيد لاشين، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، دار الأفق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٥٤.

٢- تحسين مجيد وبشائر رزج، المؤرخ الصفدي (ت٧٦٤هـ - ١٣٦٣م) سيرته ومؤلفاته، مجلة ديالى، جامعة ديالى، العدد (٦٧)، ٢٠١٥، ص٦٣ - ٦٤.

٣- مجيد ورزج، المؤرخ الصفدي، ص٦٤.

٤- لاشين، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، ص٥٦.

٥- عواطف رزق الله، صلاح الدين الصفدي وجهوده الأدبية والنقديَّة، أطروحة دكتوراه، إشراف، فاروق البشير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، ٢٠٠٧، ص٢٥.

٦- مجيد ورزج، المؤرخ الصفدي، ص٦٥.

٧- لاشين، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، ص١١، ١٥، ٢٣.

٨- مجيد ورزج، المؤرخ الصفدي، ص٦٦.

٩- رزق الله، صلاح الدين الصفدي وجهوده الأدبية والنقديّة، ص٢٧.

١٠- لاشين، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، ص٣٧ - ٤٤.

١١- مجيد ورزج، المؤرخ الصفدي، ص٦٦- ٦٩.

١٢- رزق الله، صلاح الدين الصفدي وجهوده الأدبية والنقديّة، ص٢٦.

١٣- لاشين، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، ص١٨٧.

١٤- لاشين، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، ص٢٠١- ٢٠٢.

١٥- رزق الله، صلاح الدين الصفدي وجهوده الأدبية والنقديّة، ص٤٧.

١٦- لاشين، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، ص١١٥ - ١١٧.

١٧- العلبي، أكرم، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطبع، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٢م. ص ١٥٦.

١٨- بناه الوليد بن عبد الملك (٤٨ - ٩٦هـ/ ٦٦٨ - ٧١٥م): أبو العباس ملك أموي تسلم الحكم عام ٨٦هـ، وامتدت فتوحات الدولة الأموية في عصره إلى الهند والصين شرقًا، واهتم بالعلم والعلماء، وتحسين طرق المواصلات، وكانت أبرز

منجزاته بناء الجامع الأموي الكبير الذي أصبح أحد أبرز وأهم معالم دمشق ويُوشِر ببنائه سنة (١٧هـ/ ٦٣٨م) وانتهت الأعمال من عمارته سنة (٩٦هـ/ ٧١٤مـ). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٨، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٢١.

١٩- هو إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي، نزيل دمشق وعالم بالفقه والتفسير والذكر، (ت٧٠٣هـ)، (يُنظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر ج١، ص ٥١.

٢٠- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر ج١، ص ٥٢، ٤٥٦.

٢١- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص٢٤٤ – ٢٦٣.

٢٢- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ١٩٥ – ٢٠٣.

٢٣- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص٣٠١ – ٤٩٩.

٢٤- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص٦٤٩

٢٥- الصفدي، خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، تقديم مازن المبارك، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م، ج١، ص ١٦١.

٢٦- مسجد الأفرم: بني سنة (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م) بأمر من الأمير جمال الدين آقوش الدواداري المنصوري الأفرم، نائب السلطنة المملوكية بدمشق، الذي عُرف عنه حسن السيرة والأخلاق، والشجاعة، واستمرَّ بنيابة دمشق لمدَّة إحدى عشرة سنة (ت٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، وخطب به القاضي الإمام شمس الدين أبو عبد الله بن شرف الدين الأذرعي الحنفي، وكان جامع الأفرم في عصر الصفدي واحدًا من ستة عشر مسجدًا بدمشق وضواحيها سمح أن تقام بها صلاة الجمعة. (الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص ١٣١).

٢٧- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص ١٣١.

٢٨- بناه الأمير المملوكي سيف الدين تنكز (٧١٢ – ٧٤٠هـ)، في دمشق بين ساحة المرجة وشارع النصر، ووفقًا للصفدي فقد خطب به الإمام علي بن داود ابن يحيى نجم الدين ابن القاضي عماد الدين القرشي الذي يرجع نسبه إلى الصحابي الزبير بن العوَّام، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٣٥٨. أحمد الإيبش

وقتيبة الشهابي، معالم دمشق التاريخية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦، ص١١٤.

٢٩- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٣٥٨.

٣٠- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٤٧٧.

٣١- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٦٥٦.

٣٢- جامع يلبغا: بني في البحصة في جوار ساحة المرجة بأمر من نائب السلطان المملوكي بدمشق سيف الدين يلبغا اليحياوي، ويلبغا هو اسم تركي بمعنى بطل أو شجاع. الإيبش والشهابي، معالم دمشق التاريخية، ص١٢٠.

٣٣- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص ٤٤٣.

٣٤- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ١٧٣ الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص ٣١٢.

٣٥- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٥٤٧.

٣٦- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص٢٧٦.

٣٧- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٥٤٧.

٣٨- الحزوري، الحركة العلمية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، صـ١٠٤.

نور الدين زنكي: هو نور الدين محمود زنكي، الملك العادل المولود عام ٥١١هـ، حكم الموصل، وكان مهتمًّا بالعلوم، وحكم حلب، واستولى على دمشق عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، وقارع الصليبيين، واستشهد عام ٥٦٩هـ. علي محمد الصلابي، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي، مؤسسة أقرأ، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٧، ٦٩ – ٧٠.

٣٩- أنشأها شهاب الدين القوصي إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري، وكيل بيت المال، ولد في قوص سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨مـ)، ورحل إلى دمشق وحدَّث فيها، وتوفي سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) بداره التي وقفها دارًا للحديث. ابن كثير، الحافظ ابن كثير أبي الفداء، (ت ٧٧٤)، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج١٤، ص ١٧٣.

٤٠- العلبي، خطط دمشق، ص ٨٦.

٤١- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج١، ص ٧٣.
٤٢- العلبي، خطط دمشق، ص٨٦.
٤٣- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر ج٣، ص ٥٧٢.
٤٤- أنشأها نور الدين الزنكي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، وأمر أن يتولى إدارتها أصحاب الأهلية العلمية، وأنشأ بها مكتبة كبيرة، بحيث تكون كتبها مادة علمية لطلبة العلم الشرعي، وأولى مهمة التدريس فيها والإشراف عليها إلى أبرز أعلام عصره، الحافظ أبو القاسم ابن عساكر النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص ٧٤.
٤٥- ابن الأثير الجوزي، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني، التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية في الموصل، (ت ٦٢٠هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م، القاهرة، صـ ١٧٨.
٤٦- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر (٣١٠/١)، (٢٤٦/٣).
٤٧- وربما هي البهائية التي ذكرت في كتاب الدارس في تاريخ المدارس، وأنشئت عام ٧٢٢هـ، في باب توما وسط دمشق داخل السور وسميت نسبة إلى بهاء الدين أبو القاسم بن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر. عبد القادر النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، إعداد وتقديم، عمار النهار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤، ص٤٤.
٤٨- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٢٥٥
٤٩- دار الحديث الظاهرية: وهي نفسها المدرسة الظاهرية الجوانية التي بنتيت وسط دمشق في قرب باب الربيد عام ٦٧٨هـ، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص٧٨.
٥٠- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٤٨٦.
٥١- دار الحديث الأشرفية: وفقًا لمعجم دمشق التاريخي وتناسبًا مع زمن الصفدي فإنها تُقسم إلى قسمين، البرانية والجوانية، أي خارج السور وداخله، ومن المحتمل أن التي تحدث عنها الصفدي هي التي داخل السور وبنيت عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م، بأمر من الملك الأشرف موسى في العصر الأيوبي، وتعرف أيضًا بدار الحديث الشافعية، أو دار الحديث الأشرفية الأولى، أو دار الحديث الأشرفية الدمشقية، أمَّا

الدار الأخرى التي تحمل الاسم نفسه فكانت في الصالحية على سفح جبل قاسيون، وبناها الملك نفسه بعد أربع سنوات من بناء الدار الأولى. قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩، ص٢٦٩.

٥٢- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٣٢٤.

٥٣- دار الحديث النفيسية: بناها في العصر المملوكي نفيس الدين إسماعيل بن محمد بن صدقة الحراني عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م، وسط دمشق داخل السور في سوق الحرير. الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ص٢٧٣.

٥٤- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٥١٥.

٥٥- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٥٣-٥٤.

٥٦- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٣٠٩.

٥٧- محمد حسين محاسنة، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، دار الأوائل، ط١، دمشق، ١٩٩٩، ص٢٥٧ – ٢٥٨.

٥٨- ابن الحاج، أحمد بن علي، المدخل، دار الكتاب العربية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢م، ج٢، ص ٣٢١.

٥٩- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٤٦١.

٦٠- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ١٢٠، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٥، ص ٤١٣.

٦١- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٤١٢، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٣٩٣.

٦٢- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٤١٢.

٦٣- الحزوري، حسام الدين، الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م، ص ٩٠.

٦٤- الشيخ نجم الدين أبو محمد عبد الله البادرائي الفرضي: ولد سنة (٥٩٤هـ/١١٩٧م) وتلقَّى علومه في بغداد، وبرع في مذهبه ودرّس بالنظامية، ثمّ اختاره الخليفة المستعصم رسولًا إلى ملوك المسلمين وأمرائهم، عشَّية اجتياح المغول لديار الإسلام، وقد تردد كثيرًا إلى مصر والشام فبنى مدرسته في دمشق سنة

(٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وكان أوَّل من درَّس فيه ابن العماد، الإمام شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ابن العماد الحنبلي الدمشقي، (ت ٧٩٥هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق سوريا. ج٧، ص ٢٦٩.

٦٥- ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص ٢٦٩.

٦٦- النعيمي (ت٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، منشورات المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨م، ج١، ص ١٥٤

٦٧- الملك الناصر الأيوبي: هو صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ – ٥٨٩هـ/ ١١٣٧ – ١١٩٣م) من مواليد تكريت ومؤسس الأسرة الأيوبية في مصر، كان مهتمًّا بالعلم، وحرر بيت المقدس من الصليبيين وسيطر على بلاد الشام. الموسوعة العربية الميسرة، ج٤، ط٣، لبنان، ٢٠٠٩، ص ٢١٠١ – ٢١٠٢.

٦٨- تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة(ت٨٥١هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبة، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، تحقيق عدنان درويش، ١٩٧٧م، ج٣، ص ١٤٠

٦٩- خطط دمشق، للعلبي، ص ١٥٤.

٧٠- أسد الدين شيركوه: ولد في أذربيجان سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م، وهو من الأكراد، نشأ وترعرع في تكريت، وكان قائدًا عسكريًّا معروفًا في الدولة الزنكية وهو عم صلاح الدين الأيوبي ودرسه، فضلًا عن ذلك قاد عددًا من الحملات العسكرية وكان له دور كبير في دعم نور الدين الزنكي وضم مصر إلى بلاد الشام وتوفاه الله عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م. جمال أحمد أبو ريدة، سيرة البطل أسد الدين شيركوه ودوره في ضم مصر إلى بلاد الشام، مجلة جامعة الإسراء للعلوم الأساسية، دائرة البحث العلمي، فلسطين، عدد٦، يناير ٢٠١٩، ص٦٩ – ٧٩.

٧١- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٣٨٢، حاشية رقم (٤)

٧٢- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٣٣١، ٣٨١. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٤٩، ١٠٦، ٣٠٥.

٧٣- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٢١٤.

٧٤- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٣، ص ٢١، ٥١٤، ٥٣٨.

٧٥- أنشأها الأمير ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز بن أبي الفوارس الكردي القيمري، وكان من أكابر الأمراء في دولة الملك الناصر يوسف الأيوبي في الشام، وأحسنهم سيرة. انتقل إلى مصر وبقي مرابطًا فيها، وتوفي سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) وعُمل له عزاء بالجامع الأموي وكأنَّه ملك. النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص٨٩ -٩٠.

٧٦- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص ٢١٠.

٧٧- الحزوري، الحركة العلمية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، ص ١٤٦.

٧٨- المقريزي، أحمد بن علي، الخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م ج٣، ص ٣١٢.

٧٩- المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٣١٢.

٨٠- سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفالح بكور، دار القلم العربي، الطبعة الأولى، حلب، ١٩٩٦م، ج١، ص ٣٨٤.

٨١- أنشأها الشيخ نجم الدين عيسى بن شاه أرمن الرومي السيوفي، وقد بنى له ولجماعته بيوتًا حولها، (ت٧١٠هـ/١٣١٠م) تقع بسفح قاسيون على نهر يزيد غربي تربة العادل كتبغا قرب ميدان المالكي اليوم وأوقف عليها واقفها وعلى ذريته قريتي عين الفيجة ودير مقرن بحيث يكون الثلثان للذرية، والثلث لزاوية النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج٢، ص ١٥٨، ١٥٧. العلبي، خطط دمشق، ٤١٢.

٨٢- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ٥٥٣.

٨٣- أنشأها الشيخ الزاهد أبو بكر بن قوام بن علي البالسي، العابد القدوة، صاحب الكرامات، (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م) وتم نقله إلى الزاوية التي أنشأها ولده الشيخ عمر بدمشق سنة(٦٧٠هـ/١٢٧١م). الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر ج١، ص ٥٥١

٨٤- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج٢، ص ١٦٢.

٨٥- العلبي، خطط دمشق، ص ٤٢٨.

٨٦- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٥٥١.

٨٧- أنشأه الملك الناصر الأيوبي، آخر سلاطين الأيوبيين في دمشق، ويقع في سفح قاسيون، شرقي تربة الملك العادل كتبغا، وغربي جامع الأفرم، وكان يقع ضمن دار الحديث الناصرية، بني سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وذكر العلبي أن البستان الذي كان فيه الرباط يُدعى بستان الناصري، وقد هُدم الرباط ودار الحديث والجامع الأفرم، واستعملت الحجارة في تشييد أبنية المهاجرين وتبليط الطرقات، وكان ممن تولَّى مشيخة الرباط الإمام المقرئ النحوي شرف الدين أبو العباس الفزاري، خطيب الجامع الاموي بدمشق، حيث حدَّث فيه بالسنن الكبرى للبيهقي مما أكسب الرباط أهمية وسمعة علمية عالية. العلبي، خطط دمشق، ص ٤٢٨.

٨٨- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص ١٩٤.

٨٩- بنيت في دمشق عام ٤٥٣هـ نسبة إلى السميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي الحبشي وهو من أعيان مدينة دمشق النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص١٥٩.

٩٠- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٢٧٥.

٩١- تقع بدمشق وبنيت عام ٧٦٠هـ داخل باب الفرج وسميت بالشهابية نسبة للأمير علاء الدين الشهابي وهو من كبار أمراء دمشق وتولى إمارة حلب بأمر من الظاهر بيبرس سلطان المماليك النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص١٦٠.

٩٢- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص ٢٣٦.

٩٣- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص١٦٢.

٩٤- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص ٢٣٥

٩٥- بنيت عام ٧٥٢هـ بدمشق، وهي نسبة لمجاهد الدين إبراهيم أخي زين الدين أحمد أمير خازندار الملك الصالح نجم الدين أيوب النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص١٦٥.

٩٦- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص ٦٤٣.

٩٧- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص١٥٥.

٩٨- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٦٥.

٩٩- النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ص١٥٧.

١٠٠- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج١، ص ٣١٦.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير الجوزي، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني، التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية في الموصل، (ت ٦٢٠هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م، القاهرة.

٢. ابن العماد، الإمام شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري ابن العماد الحنبلي الدمشقي، (ت ٧٩٥هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق سوريا.

٣. ابن شداد، محمد بن علي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق دومنيك سورديل، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٢م.

٤. ابن كثير، الحافظ ابن كثير أبي الفداء، (ت ٧٧٤)، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥. أبو ريدة، جمال أحمد، سيرة البطل أسد الدين شيركوه ودوره في ضم مصر إلى بلاد الشام، مجلة جامعة الإسراء للعلوم الأساسية، دائرة البحث العلمي، فلسطين، عدد٦، يناير ٢٠١٩.

٦. الإيبش والشهابي، أحمد وقتيبة، معالم دمشق التاريخية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦.

٧. تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة(ت٨٥١هـ)، تاريخ ابن قاضي شهبة، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، تحقيق عدنان درويش، ١٩٧٧م.

٨. الحزوري، حسام الدين، الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م.

٩. رزق الله، عواطف، صلاح الدين الصفدي وجهوده الأدبية والنقديَّة، أطروحة دكتوراه، إشراف، فاروق البشير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، ٢٠٠٧.

١٠. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٨، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٨٠.

١١. سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفالح بكور، دار القلم العربي، الطبعة الأولى، حلب، ١٩٩٦م.

١٢. الشهابي، قتيبة، معجم دمشق التاريخي، ج١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩.

١٣. الصفدي، خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، تقديم مازن المبارك، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.

١٤. الصلابي، علي محمد، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي، مؤسسة اقرأ، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧.

١٥. العلبي، أكرم، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للطبع، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٢م.

١٦. لاشين، محمد عبد المجيد، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، دار الأفق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٧. مجيد ورزج، تحسين وبشائر، المؤرخ الصفدي (ت٧٦٤هـ - ١٣٦٣م) سيرته ومؤلفاته، مجلة ديالى، جامعة ديالى، العدد٦٧، ٢٠١٥.

١٨. محاسنة، محمد حسين، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، دار الأوائل، ط١، دمشق، ١٩٩٩.
١٩. المقريزي، أحمد بن علي، الخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٢٠. الموسوعة العربية الميسرة، ج٤، ط٣، لبنان، ٢٠٠٩.
٢١. النعيمي (ت٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، منشورات المجمع العلمي العربي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨م.
٢٢. النعيمي، عبد القادر، الدارس في تاريخ المدارس، إعداد وتقديم، عمار النهار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.